﴿ الخُطْبَةُ الْأُولَى ﴾

الحمدُ للهِ العليِّ الكبيرِ، تَعَالَى وَتَنَزَّهَ عَن الشَّبِيْهِ والنَّظيرِ والمُعِينِ والظَّهيرِ، أحمَدُهُ سُبحانَهُ وأشكُرُهُ، أعطَى الكثيرَ، وَتَجاوَزَ عن التَّقصيرِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأشهَدُ أنَّ مُحمدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ البَشيرُ النَّذيرُ، والسِّرَاجُ المُنيرُ، صلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ عليهِ وعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ والتَّابعينَ ومَنْ تَبِعَهمْ بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) عبادَ اللهِ : إنَّ الرِّضَا باللهِ رَبّاً، وبالإسلامِ دِيْناً، وبمُحمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً؛ هُوَ جَوهرُ السَّعادةِ، وعُنوانُ الفَلاحِ، وبِهِ يَجِدُ العَبْدُ المؤمنُ حلاوةَ الإيمانِ؛ كَمَا قالَ النَّبِيُّ ﷺ: "ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دِيْناً، وبمُحمَّدٍ رَسُولاً" (رواه مسلم).

فللإيمانِ لَذَّةٌ وطَعْمٌ يَجِدُهُ مِنْ حَقَّقَ هذا الرِّضَا، وكُلَّما امتلأَ القلبُ بهذا الرِّضَا؛ عَظُمِتْ حَلَاوَتُهُ، وازدادَ إيمانُهُ.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: لَوْ قُرِضَ لَحْمِيْ بالمَقَارِيْضِ كَانَ أَحَبَّ إليَّ مِنْ أنْ أقولَ لشَيءٍ قَضَاهُ اللهُ لَيْتَهُ لَمْ يَقْضِهِ.

أيُّها المؤمنونَ: لعلَّ البعضَ مِنَّا يَتَساءَلُ: كيفَ يُمْكِنُنِي تحقيقُ الرِّضَا وتَحصيلُهُ؟ والجوابُ سهلٌ ميسورٌ، ومذكورٌ في القرآنِ الكريمِ، إذْ يقولُ اللهُ سبحانَهُ : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ طه ١٣٠

فهذهِ الآيةُ الكريمةُ تُوَضِّحُ لنَا بِجَلاءٍ أنَّ مِنْ أهمّ أسبابِ حصولِ الرِّضَا في قلبِ المؤمنِ؛ كثرةُ التَّسبيحِ والذِّكْرِ للهِ تعالى في جميعِ الأوقاتِ.

كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إلى أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا: (أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّ الخيرَ كُلَّهُ في الرِّضَا، فإنْ استطعتَ أنْ تَرْضَى وَإلّا فَاصْبِرْ).

ويقولُ عبدُاللهِ بنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ "ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ تَكُنْ أغْنَى النَّاسِ، واجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللهِ تَكُنْ أوْرَعَ النَّاسِ، وَأَدِّ مَا فَرَضَ اللهُ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ".

عِبَادَ اللهِ: إنَّ الرِّضَا إيمانٌ باللهِ وبرَسُولِهِ ﷺ ، رِضَا نَفْسٍ وانشِراحُ صَدْرٍ، المُؤمنُ يغمُرُه الرِّضا؛ لأنَّه يُدْرِكُ فَضْلَ اللهِ العَمِيمِ، وإحسانَهُ العَظيمِ، فمِنْ عَلاماتِ رِضا المؤمِنِ إحساسُه بنِعَمِ اللهِ في سَمعِهِ وبَصرِهِ ويَدِهِ وقَدمِهِ، وطَعامِهِ

وشَرابِهِ، ونَومِهِ ويَقَظَتِهِ، وأهلِهِ وذُرِّيَّتِهِ، ورِزْقِهِ، وفي شَأنِهِ كُلِّهِ. قالَ لُقمَانُ لابنِهِ: أوصِيْكَ بِخِصَالٍ تُقَرِّبُكَ مِنَ اللهِ وتُبَاعِدُكَ عَنْ سَخَطِهِ: أنْ تَعْبُدَ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، وَأنْ تَرْضَى بَقَدَرِ اللهِ فيمَا أحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.

عبادَ اللهِ: وَلَيسَ شَرْطُ الرِّضا ألا يُحِسَّ العَبْدُ المُؤمنُ بالألَمِ والمَكَارِه؛ بَل المطلوبُ ألّا يَعترِضَ على أقْدارِ اللهِ، ولا يَتَسَخَّطُ منَ الحَوادِثِ والنَّوازِلِ؛ فَهُوَ رَاضٍ كرِضَا المَريضِ بِشُرْبِ الدَّواءِ المُرِّ؛

لأنَّهُ يَعْلَمُ العَاقبَةَ ويَرجُوْ العَافيَةَ.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ :(والذيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لا يَقْضِيْ اللهُ للمؤمنِ قَضَاءً إلّا كانَ خيراً لَهُ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، ولَيْسَ ذَلكَ إلّا لِلمُؤْمِنِ).

وما أجْمَلَ قَوْلَ الشَّاعِرِ في هذا الشأنِ:

وَرَأيْتُ الرِّضَا يُخَفِّفُ أثْقَالِيْ ***

وَيُلْقِيْ عَلَى المَآسِيْ سُدُوْلاً

وَالَّذِيْ أُلْهِمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ ***

أَبَدَ الدَّهْرِ حَاسِداً أوْ عَذُوْلا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللهُ ***

وَمُزْجٍ إليْهِ حَمْداً جَزِيْلا

فالمؤمنُ يَرضَى عَنِ اللهِ في خَلقِهِ لهُ ذَكَراً كَانَ أمْ أنْثَى، ويَرضى عن اللهِ في تصويرِهِ لشَكْلِهِ وَلَوْنِهِ وَطُولِهِ وغيرِ ذلكَ مِمَّا يَتّعَلَّقُ بالخِلقَةِ، ويَرضَى عن اللهِ فيما كَتبَه له من الرِّزقِ كثيراً كانَ أمْ قَليلاً، ولا يَمْنَعُهُ ذلكَ الرِّضَا مِنْ بَذْلِ السَّبَبِ والسَّعْيِ في الكَسْبِ المشروعِ، ويَرضَى عن اللهِ فيما قدَّرَهُ عَليه مِن الأقْدارِ

المُؤلِمَةِ مِن مَرَضٍ أوْ فَقْدِ مَالٍ أوْ فَقْدِ حَياةِ قريبٍ أو حَبيبٍ وغيرِ ذلك.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: ارْضَ عَن اللهِ في جَميعِ مَا يَفْعَلُهُ بِكَ، فإنَّهُ مَا مَنَعَكَ إلا لِيُعْطِيَكَ، ولا ابْتَلاكَ إلا ليُعَافِيَكَ، ولا أمْرَضَكَ إلا ليَشْفِيَكَ، ولا أمَاتَكَ إلا ليُحْيِيَكَ، فإيَّاكَ أنْ تُفَارِقَ الرِّضَا عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ.

أقولُ قُولِيْ هَذا واستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاستغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

﴿ الخُطْبَةُ الْأُولَى ﴾

الحمدُ للهِ وَحْدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَبَعْدُ:

عبادَ اللهِ: حَرِيٌّ بالمُسلمِ أنْ يَقِفَ مَع نَفْسِهِ وَقَفَاتٍ، وَيُرَاجِعَ نَفْسَهُ ويَسْأَلَهَا عَنْ رِضَاهُ عَن اللهِ وأقْدَارِهِ وَتَشْرِيْعَاتِهِ، وَرِضَاهُ عَن الحَلَالِ والاكتفاءِ بِهِ، وبُغْضِهِ للحَرَامِ والانتهاءِ عَنْهُ، ومِقدارِ مُتابَعَتِهِ للنَّبِيِّ ﷺ في كُلِّ أحوالِهِ، ورِضَاهُ بالإسلامِ عَقيدةً وشَريعةً ومَنْهَجَ حَياةٍ.

قالَ سُبحانَهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِيْ نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رَؤوفٌ بالعِبَادِ}.

واعلَمُوا أيُّهَا المُسلِمُونَ أنَّ مَنْزِلَةَ الرِّضَا عَن اللهِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمةٌ ذَكَرَهَا اللهُ في كِتَابِهِ الكَرِيمِ، واخْتَصَّ بِهَا الصادقينَ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنينَ، وَكَافَأهُمْ سبحانَهُ بِرِضَاهُ عَنْهم وبالجَنَّاتِ والفوزِ العَظيمِ، فقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

عِبَادَ اللهِ: اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْأَمِينِ، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾. اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوا بِالْحَقِّ، وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الْآلِ وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُم بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي

أَوْطَانِنَا، وَأَدِمْ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ فِي بِلَادِنَا وَبِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَاصْرِفْ عَنَّا وَعَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ، وَاكْفِنَا وَإِيَّاهُمْ سَائِرَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَوْدِعُكَ جُنُودَنَا يَامَنْ لَا تَضِيعُ وَدائِعُهُ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُمْ بَرًّا وَبَحْرًا وَجَوًّا، اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَانْصُرْهُمْ نَصْرًا مِنْ عِنْدِكَ. اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْهِمْ صَبْرًا، وَثَبِّتْ أَقْدامَهُمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُمْ بِحِفْظِكَ الَّذِي لا يُرامُ، وَاحْرُسْهُمْ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ يَا قَوِيُّ يا عَزِيزُ. اللَّهُمَّ احْفَظْ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ

الشَّريفَينِ بِحِفْظِكَ، وَوَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى. اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدِيْنا كَمَا رَبَّوْنا صِغارًا، وَأَعِنَّا عَلَى بِرِّهِمْ أَحْياءً وَأَمْواتًا. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار

﴿سُبحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلمُرسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات ١٨٠-١٨٢]